

الأدب والمروءة

للعلامة

صالح بن جناح النخعي

تحقيق وتعليق

قسم التحقيق بالدار

دار الصحابة للتراث بطنطا

كِتَابٌ قَدْ حَوَى دُرَّرًا بَعِينًا مُحْسِنًا مَحْفُوظَةً
لِهَذَا قَلْتُ تَنْبِيهَا
حَقُوقَ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةً

لدار **الصِّحَابِ لِلنَّشْرِ** بطنطا

للنَّشْرِ - والتَّحْقِيقِ - والتَّوْزِيعِ

المُرَاسَلَاتُ:

طنطاش المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

ت: ٣٣١٥٨٧ - ص.ب: ٤٧٧

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٥)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٥٥)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٥٥)

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

(٥٥) سورة النساء : الآية ١ .

(٥٥٥) سورة الأحزاب : الآية ٧٠ ، ٧١ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بين يدي الكتاب

الحمد لله الداعي إلى المروءات والآداب والمنعم بالخيرات ،
والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد الهادي الأمين عليه
أفضل الصلاة وأزكى السلام .

أما بعد :

فهذا كتاب صغير في الأدب والمروءة لأنهما جماع الأخلاق ،
ومتنتى الفضائل فالمروءة هي شاغل المسلم في جميع أوقاته ، وللأدب
والمروءة وجوه وآداب ، لا يحصرها عدد ولا حساب وقلما اجتمعت
شروطهما قط في إنسان ، ولا اكتملت وجوههما في بشر فإن كان ففى
الأنبياء أما غيرهم فعلى مراتب بقدر ما أحرز كل واحد منهم من
خصالهما ، وخير مثال لنا النبي - ﷺ - الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه
وقد قال عنه رب العزة : ﴿ **وانك لعلى خلق عظيم** ﴾ ولهذا كله رأينا أن
نسير مع مصنف هذا الكتاب لتتعرف على الأدب والمروءة لما لهما من
ثمرات وفوائد لا حصر لها .

ابتدأ مصنف هذا الكتاب بتعريف جامع للمروءة وعلاقتها بالأدب

والعقل فقال :

المروءة : اجتناب الرجل ما يشينه واجتنائه ما يزينه ، ولا مروءة
لمن لا أدب له ، ولا أدب لمن لا عقل له فيبينهم علاقة تلازم وارتباط بحيث
إذا فقد أحدهم يلزم عنه بالضرورة فقد الآخر .

ثم تحدث عن ذى الوجهين ، وقال : يجب على الإنسان أن يأخذ بما أظهر والله أعلم بقلبه وما أضمر .

وفي كل موضوعات الكتاب لا يفوت المصنف أن يأتي بشعر يجمع فيه المراد لأن المصنف كما نعلم شاعر حكيم مفوه .

وتحدث عن الصدود ، وبين أنه من نواقض المروءة والأدب .

وتناول بعد ذلك كثرة المال ، وأظهر لنا حكمة بارعة في أن كثرة المال وقلته مرتبط ارتباطاً تاماً بكثرة الأولاد .

وتكلم عن الأحمق ، وعقد وجه شبه عجباً بينه وبين اللعيم فكلاهما لا يعرف عدوه من صديقه ، ولا يعرف ما ينفعه مما يضره ، وهو لا يقبل نصح أحد ولا موعظته .

وتحدث بعد ذلك عن بيان أثر الهوى على الإنسان وفضل العقل ، وبين أن العقل هو القابض لزام الأمور ، وهو الميزة التي تكاد تكون الميزة الوحيدة التي فضل الله بها الإنسان على غيره ، وأوضح أن الهوى ليس له أى أثر على الإنسان اللبيب العاقل .

وتحدث بعد ذلك عن معرفة الإخوان ومعاملتهم ، وبين أنك لن تعرف أخاك إلا إذا اختبرته وجربته وبلوته وعاملته بالدينار والدرهم .

ثم تكلم عن العقل والأدب ، وبعد أن وضّح مكانة كل منهما شبه العقل والأدب بالسيف والصيقل في شدة احتياج كل منهما للآخر ، وشدة ارتباطه به ، وأنه لا فائدة له بدونه فالسيف لا يؤدي غرضه بغير شحذ وجلاء كذلك العقل لا يؤدي غرضه بغير الأدب .

وتحدث عن الحكمة ، وبين قيمتها وأثرها على الشعراء والخطباء والبلغاء وغيرهم ، وبين أنها تزيد الأدب قوة .

وتعرض بعد ذلك لذم الكذب ، وأوضح أنه من نواقض المروءة والأدب ، وأنه يعدم الإنسان الحياء ، وأنه إذا أتى بالصدق فالأجدر ألا يصدق منه .

وتناول بعد ذلك الجهل ، وبين أنه من نواقض المروءة والأدب ، وحذر منه لأنه ليس من مقال الحكماء والعلماء ، ثم وضّح أن العلم والحلم لا يتان إلا بالأدب .

وتحدث بعد ذلك عن النهي عن القبيح ، وهو من نواقض الأدب والمروءة ، وبين أن الذي لا يقبل النصيح وينتهى يكون هذا الفعل منه أقبح من عمل القبيح .

ثم تكلم بعد ذلك عن القدر وأحواله وتصاريفه ، ومثل لنا بالفضائل وذكر أن الله عز وجل يعطى كل إنسان منها بقدر فلا يجمع الفضل في يد أحد الناس ، ولا يحرم أحد منه كل الحرمان ، ولكنه وزع الفضل بعدلته .

وانتقل إلى الحديث عن أخلاق الأتقياء والأشقياء ، ووصف لنا أخلاق كل منهما .

وتعرض بعد ذلك لطبيعة بنى آدم في عزته وتكبره وتفرغته مالم يصبه أذى فإذا أصابه شيء وجدته يتراجع عن كل ذلك .

تحدث بعد ذلك عن الغنى والقنوع ، وبين أن الغنى غنى النفس والقلب فيجب أن يكون الإنسان قنوعاً بما في يده .

وتناول بالحديث مجالسة أهل الأهواء وجداهم .

وأظهر لنا أنها من عيوب الأدب والمروءة ، والله عز وجل قد أوحى إلى نبيه موسى عليه السلام ألا يجادل أهل الأهواء لأنه يورد إلى

النار ، والصالحون كانوا يتناهون عن مجالسة أهل الأهواء ومجادلتهم إلا
باتباع للكتب المنزلة والسنن المرسله الصادقة .

وتحدث بعد ذلك عن التيممة وأثرها ، وحذّر منها وذكر أنها تفسد
على الإنسان كل شيء هو قادم إليه ، وأنها من نواقض الأدب والمروءة .

وتكلم بعد ذلك عن كثرة الكلام ، ويُن لنا أنها من نواقض
الأدب والمروءة ، وأنها ليس من شيم أهل الأدب والمروءة .

ثم تحدث بعد ذلك عن النفس وآدابها ، وأظهر لنا صفات نبيلة في
تأديب النفس .

ثم ختم حديثه بالحديث عن الحسد والحاسد ، وأوضح أنه خصم
لا يركن إليه ، ويجب الحذر منه ، وأنه من نواقض الأدب والمروءة .

ترجمة المصنف

صالح بن جناح اللخمي شاعر دمشقي ، من الحكماء أدرك
التابعين ، تنسب إليه مقطوعات لطيفة ، نذكر هنا منها :
« ألا رب ذى عينين لا تنفعانه
وهل تنفع العينان من قلبه أعمى »

ومنها كان يقول : اعتبر ما لم تره من الدنيا بما رأيت ، وما لم تسمعه
بما قد سمعته ، وما لم يصبك بما قد أصابك ، وما بقى من عمرك بما قد
مضى ، وما لم يبيل منك بما قد بلى .

ومنها :

تعلم فإنَّ العلمَ أزين بالفتى من الحلةِ الحسنة عند التكلم
ولا خيرَ فيمن راحَ ليس بعالمٍ بصير بما يأتي ولا متعلم
فهو شاعر كوفي ، رشيقي القول في المواعظ والآداب ، وشعره مطعم
بالحكمة سلس الأسلوب جزل الألفاظ له رسالة في « الأدب والمروءة
ط » نشرها الشيخ طاهر الجزائري في مجلة المقتبس وهي كتابنا هذا .

مراجع الترجمة

- الأعلام لخير الدين الزركلي (١٩٠/٣) .
تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر (٣٦٩/٦) .

عملى فى الكتاب

- ١- قمت بعمل عناوين داخلية للكتاب حيث أنه قد خلا منها ووضعها بين معكوفتين .
- ٢- أعددت فهرساً عاماً للكتاب .
- ٣- قدمت للكتاب بمقدمة عن الكتاب ومؤلفه .
- ٤- علقت على ما استحق التعليق من كلماتٍ صعبة ، أو معانٍ غامضة من خلال معاجم اللغة مثل لسان العرب لابن منظور ، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية .
- ٥- أصلحتُ بعض الأخطاء التى ربما يكون قد وقع فيها الناسخ .

وصف المخطوطة

مخطوطة الرسالة :

عثرنا بحمد الله وتوفيقه على مخطوطه هذا الكتاب المبارك فى دار الكتب
المصرية العامة وكانت معلوماته كالآتى :

أدب : ١٤٧٧

وتحتوى على عشرة ورقات .

أدب تيمور : ٤١٣

وكل صفحة تحتوى على ٣٦ سطر



[بداية الكتاب]

قال صالح بن جناح :
اعلم أن العرب قد تجعل للشيء الواحد اسماً ، ويسمى بالشيء
الواحد أشياء فإذا سنخ لك ذكر شيء فاذكره بأحسن أسمائه فإن ذلك
من المروءة وإنما المرء بمروءته .

[تعريف المروءة]

فالمروءة اجتناب الرجل ما يشينه^(١) واجتنائه^(٢) ما يزينه وأنه لا مروءة لمن
لا أدب له ، ولا أدب لمن لا عقل له ، ولا عقل لمن ظن أن في عقله ما يغنيه
ويكفيه عن غيره وشتان ما بين عقل وافر معه خمسون عقلاً كلها وافر
مثله وأوفر منه ، وبين عقل وافر لا تاره^(٣) معه .

وفي ذلك أقول شعراً :

واما^(٤) أدب الإنسان شيء كعقله ولا زينة إلا بحسن التأدب

وقال : إن الأفئدة مزارع الألسن فمنها ما ينبت ما زرع فيه من
حسن ولا ينبت ما سمح ، ومنها ما ينبت ما سمح ولا ينبت ما حسن ،
ومنها ما يُنبت جميع ذلك ومنها ما لا ينبت شيئاً ، وإن من المنطق ما هو
أشد من الحجر وأحد من الإبر وأمر من الصبرة وأحر من الأسنة وأنكد

(١) تشينه : من الشين وهو العيب والقيح . الوسيط (٥٠٤/١) .

(٢) اجتنائه : من اجتنى واجتنى الشجرة ونحوها جناها والعسل جمعه وماء المطر ورده
فشربه . الوسيط (١٤١/١) ، والمعنى والله أعلم إقدامه وحصوله واقتنائه على ما يزينه .

(٣) تاره : هكذا بالأصل .

(٤) (واما) : هكذا بالأصل والصواب [وما] .

من رجل ولربما احتقرت كثيراً منه على حرارته ومرارته ونكده مخافة ما هو أحف^(٥) منه وأمر وأقطع وأنكد .

وفي ذلك أقول شعراً :

لقد أسمع القول الذي كاد كلما يذكر فيه الدهر قلبي يصدع
فأبدي لمن أبداه منى بشاشة كأني مسرور بما منه أسمع
وما ذاك من عجب به غير أنني أرى أن ترك الشر للشر أقصع^(٦)

وقال في ذى الوجهين :

من أظهر ما تحب أو تكره فإتما يقاس ما أضمر بما أظهر لأنك لا
تقدر أن تعرف ما أسر .

وقال :

ليس المثني إذاً لغيب سوءه عندي بمنزلة المثني المعلن
من كان يظهر ما أحب فإنه عندي بمنزلة الأمين المحسن
والله أعلم بالقلوب وإنما لك ما بدا لك منهم بالألسن
ولقد يقال خلاف ذلك إنما لك ما بدا لك منهم بالأعين

وقال في الصدود :

أما بعد فقد احضرتني من صدك ما آيسني من ودك ، ولم تزل
تجري في لحظك ما يدخلني في رفضك ، ويدلني على غل صدرك .

وفي ذلك أقول شعراً :

تظل في قلبه البغضاء كامنة فالقلب يكتبها والعين تبديها
والعين تعرف في عين محدثها من كان حزبها أو من يعادها

(٥) (احف) : هكذا بالأصل ولعل الصواب [أحر] .

(٦) أقصع : من قصع وقصع الرجل - قصعاً : شرب الماء جزعاً والداية المجتره :

ردت الطعام إلى فمها تمضغه وفلاناً : قمعه وصغره وحقره .

الوسيط (٧٤٠/٢) ، والمعنى والله أعلم أقصع : أقمع .

عينك قد دلنا عيني منك على أشياء لولاها ما كنت اجترتها^(٧)
إن الأمور التي تخشى عواقبها إن السلامة منها ترك ما فيها

وقال في كثرة المال وقلته :

لا تستكثر مال أحد ولا تستقله حتى تعلم ما عياله فإن من كثر
ماله وعياله فهو مقل ومن قل ماله وعياله فهو مكثر .

[قوله في الحمق]

وقال في ذكر الأحمق ودخوله فيما لا يعنيه ، وأكثرهم دخولاً فيما
لا يدخل فيه وأرضاهم بما لا يكفيه عدوه أعلم بسرهم من صديقه وصديقه
قد غص^(٨) منه بريقه ولا يؤمن نصحه ولا يتوهم من خدعه ولا يأمن إلا
من يخونه ولا يتحفظ إلا ممن يحفظه ولا يكرم إلا من يهينه .

أشبه شيئاً خلقاً باللكم إن أحسنت إليه لم يشكر ، وإن أسأت إليه
لم يشعر لا ينفعلك من وجه إلا ضرك من وجوه ، وإن أقبل عليك لم
ينزل^(٩) وإن أدبر عنك لم يضررك ، وإن أفسد شيئاً لم يحسن أن يصلحه
وإن أصلح شيئاً أفسده ، إن أحببته فرأى منك حسناً لم يحسن أن ينشره
وهو مع ذلك بخطائه^(١٠) أشد إعجاباً من العاقل بصوابه .

(٧) اجترتها : من اجترأ عليه : تشجع .

الوسيط (١٢٤/١) ، والمعنى والله أعلم أتشجع عليها .

(٨) غص : غصن بالماء غصاً وغصصاً وقف في حلقة فلم يكذب يسيفه . الوسيط

(٦٥٤/٢) .

(٩) (ينزل) : هكذا بالأصل ولعل الصواب [لم ينزلك] .

(١٠) (بخطائه) : هكذا بالأصل ولعل الصواب [بخطئه] .

إن جلس إلى العلماء لم يزد إلا جهلاً وإن جلس إلى الحكماء لم يزد إلا بطيشاً^(١١) ، وإذا جعل نفسه المحدث لهم يكلفهم أن يكونوا المنصتين له .

أعيبى الناس إذا تكلم ، وأبلدهم إذا تعلم وأصحابهم لمن يشينه وأرفضهم لمن يزينه وأشدهم في موضع اللين وألينهم في موضع الشدة وأجبنهم في موضع الشجاعة .

إن افتقر عجب من الناس كيف يستغنون وإن استغنى عجب من الناس كيف يفتقرون ، لا يفهم إن حدثته ولا يفقه إن أفهمته ، ولا يقبل إن وعظته ، ولا يذكر إن ذكرته .

وفي ذلك أقول شعراً :

المراء يصدع^(١٢) ثم يشفى داؤه والحمق داء ليس منه شفاء
والحمق طبع لا يحول مركب ما إن لأحمق فاعلمن دواء

[بيان أثر الهوى على الإنسان وفضل العقل]

وقال في ذكر الهوى :

إن من الناس إذا هوى عمى ، ومنهم من إذا هوى أبصر مرة وعمى
أخرى ، ومن إذا هوى لم يكذب يخفى عليه شيء وهو اللبيب العاقل الحليم
الكامل الذى إن أعجبه أمر نظر إلى هواه وعقله

(١١) طيشاً : من طاش - طيشاً وطيشاناً : اضطرب وانحرف وطاش عقله : خف وتشتت فجهل أو أخطأ . الوسيط (٥٧٤/٢) .

(١٢) يصدع : من الصلّاع : وهو وجع في الرأس تختلف أسبابه وأنواعه . الوسيط (٥١٠/١) .

فإن أتفقا اتبعهما وإن اختلفا اتبع عقله وترك هواه وكان أمره معتدلاً
لا يشبهه (١٣) بعضه بعضاً وقليل ما هم .

وفي ذلك أقول شعراً :

املك هواك إذا دعاك فرما قاد الحليم إلى الهلاك هواه
الله يسعد من يشاء بفضله وإذا أراد شقاءه أشقاه

[وقال في الوجوه الشفافة]

وقال أيضاً في أناس تحسن وجوههم عند حاجاتهم وتغير وجوههم
عند غنائهم شعراً :

أرى قوماً وجوههم حسان إذا كانت حوائجهم إلينا
وإن كانت حوائجنا إليهم تغير حسن أوجههم علينا
ومنهم من يسمع (*) ما لديه ويفضرب حين يمنع ما لدينا
فإن يك فعلهم قبيحاً وفعلى مثله فقد استوتينا

[الإعداد لكل أمر بعدته]

وقال فيمن فعل أمراً لا يحسن أن يحتال له :
اعلم أن من قاتل بغير عدة أو خاصم بغير حجة أو صاع (١٤) بغير قوة فهو
الذى صرع نفسه وخصم نفسه وقتل نفسه فإن ابتليت بقتال أحد
أو خصمته أو مصارعته فأحسن الإعداد له واعرف مع ذلك عدته وأبصر

(١٣) يشبهه : من وثب يشب وثباً ووثباناً ووثبواً : طفر وقفز ويقال وثب إلى المكان
العالي : بلغه . الوسيط (١٠١١/٢) ، والمقصود أمره معتدل لا يخالف بعضه بعضاً .

(*) كذا بالأصل ولعلها (يمنع)

(١٤) (صاع) .: هكلنا..بالأصل والصواب صارع .

حجته واختير قوته كما يختبر قوتك وحجتك وعدتك ، فإن رأيت مقدماً
وإلا كان التأخر قبل التقدم خير من الندم بعد التقدم .

وفي ذلك أقول شعراً :

إذا ما أردت الأمر فاعرفه كله وقسه قياس الثوب قبل التقدم
لعلك تنجو سالماً من ندامةٍ فلا خير في أمرٍ أتى بالتندم

وإن من الناس من يرزق حجة أو عدة أو قوة فيكون عدته هي
التي تقتله ، وقوته التي تصرعه وحجته التي تخصمه ، وذلك أنه ربما
أذل^(١٥) مقاتل قبل أن يعلم أنه أعدد أم الذي يقاتله وكذلك في الذي
يخاصمه ويصارعه فإذا هو قتل أو صرع أو خصم فلم تنفعه جودة
عدته ، ولا قوة حجته حين أتى الأمر من غير جهته .

وفي ذلك أقول شعراً :

إذا ما أتيت الأمر من غير وجهه يصعب حتى لا يرى منه وفقاً
فإن الذي يصاد بالفخ إن عتني على الفخ كان الفخ أعتى وأضيقاً

[قال في العتاب]

وقال في الذي يعاتب الناس إلى برك ، وإجلال أمرك وتعظيم
قدرك بالمعاتبة ، ولكن أدعتهم إلى ذلك ما يستوجه منهم وانظر الأمر
الذي أكرم به من هو أبعد منك وقرب به من أنت أقرب منه فالزمه فإنك
إن تلزمه لم يحتج معه إلى معاتبة ولا استبطاء حق لأنك إن دعوتهم إلى
تكرمتك بغير ما تستوجب التكرمة به فإنما دعوتهم إلى إهانتك إما الكلام

(١٥) (أذل) : مكنا بالأصل والصواب (نازل).

يخرجك وإما بفعال يقدحك ، وإن دعاهم إلى ذلك فضلك أجابوا إما
بشاء يرفعك أو بجزاء ينفعك .

[حقوق الأخوة]

وقال في معرفة الإخوان :

إنك لن تعرف أخاك حق المعرفة ، ولن تخبره حق المخبرة ، ولن
تجربه . حق التجربة وإن كنتما في دارٍ واحدة حتى تسافر معه أو تعامله
بالدينار والدرهم أو تقع شدة أو تحتاج إليه في مهمة فإذا بلوته^(١٦) في هذه
الأشياء فرضيته فانظر فإن كان أكبر منك فاتخذه أباً . وإن كان أصغر منك
فاتخذه ابناً ، وإن كان مثلك فاتخذه أخاً ، كن به أوثق منك بنفسك في
بعض المواطن .

وقال : كن مع الكريم على حذر إن أهنته ، ومن اللئيم إن أكرمته ،
ومن العاقل إن أحوجته ، ومن الأحمق إن مازحته ، ومن الفاجر إن
عاشرتة ، ولا تدل على من لا يحتمله إدلالك ، ولا تقبل على من لا يجب
إقبالك وكن حذراً كأنك غرٌّ^(١٧) ، وكن ذاكراً كأنك ناس ، والزم
الصمت إلى ما يكرمك التكلم فما أكثر من يندم إذا نطق ، وأقل من يندم
إذا لم ينطق وإذا أمليت فعند ذلك جودة منطقتك ، وقلة زللِكَ وسعة
عفوك وقلة حيلتك ومنفعة قوتك وحسن تخلصك .

(١٦) بلوته : من بلاء - بلواً ، وبلاءً : اختبره وفي التنزيل العزيز : ﴿ ونبلوكم بالشَّرِّ
والخير فتنة ﴾ الوسيط (٧١/١) .

(١٧) غرٌّ الرجل : كان ذا غفلة وقلة فطنة . الوسيط (٦٤٨/٢) .

واعلم أن بعض القول أغمض من بعض ، وبعضه أبين من بعض ،
وبعضه أحسن من بعض ، وبعضه أكين من بعض ، وإن كان واحداً فإن
الكلمة اللينة لتلين من القلوب ما هو أحشر من الحديد ، وإن الكلمة
الخشنة لتخشن من القلوب ما هو أكين من الحرير ، وإن أعظم الناس بلاء
وأدومهم عناء وأطولهم شقاء من ابتلى بلسان مطلق وفؤاد مطلق فهو لا
يحسن أن ينطق ولا يقدر أن يسكت . واعلم أن ليس تحسن أن تجيب من
لا يسألك ولا تسأل من يجيبك .

وفي ذلك أقول شعراً :

رب مال سينعم الناس فيه وهو عن ربه قليل الغناء
كان شقا به وينصب حياً ثم أمسى لمعشر غرباء^(١٨)
ماهم عنده جزاء إذا ما أنعموا فيه غرسوا الثناء
رب مال يكون غماً وذماً وعناء بعد في الفقراء

وقال في مضيف الطعام :

إذا كنت ممن يؤكل طعامه وتحضر مائدته ويؤكل معه فليكن الذى
يتولى صنعة طعامك من ألب^(١٩) الناس فى عمله وأنظفهم فى يديه
ولا تدع إعلامه إن أحسن ولا إنذاره إن أساء فإن بعثك عليه خير من
تعنت الناس عليك .

(١٨) (عرباء) : هكذا بالأصل والصواب غرباء .

(١٩) ألب : الألب : نشاط الساق ورجل ألوب سريع إخراج الدلو . لسان العرب
(١٠٦/١) .

والمعنى المقصود هنا والله أعلم الذى يتولى صنعة طعامك من أمهر الناس وأسرعهم فى
عمله .

واعلم أن لكل شيء غاية ، وأن غاية الاستنقاء^(٢٠) التنظيف في الاستنجا^(٢١) والإكثار من الماء حتى يستوى البدان^(٢٢) والريح والمنظر فإنه لا طيب أطيب من الماء ولو أنه المسك وما أشبهه من الأشياء وإنما يستدل على نظافة الرجل بنقاء أثوابه ، وإنما يكون العذر في الحمقى من النساء والرجال وبه يستدل على بلادتهم .
وفي ذلك أقول شعراً :

ولا خير قبل الماء في الطيب كله وما الطيب إلا الماء قبل التطيب
وما ألطف الأحرار في كل مطعم وما ألطف الأحرار في كل مشرب

وقال في صفة العدو والصديق :

احرص أن لا يراك صديقك إلا أنصف ما يكون ولا يراك عدوك إلا أحض ما يكون فأما الصديق فإن كان الذي أعجبه منك تخلفك أو تخلفك ولهما كان يجبك فكلما ازددت حسناً كان حبه لك أكثر ورغبته فيك أوفر وأكثر عمدته^(٢٣) وأكثر في صدره وأدوم له على عهدك ، وأما العدو فليس شيء أعجب إليه من دمامتك وحساستك فاحترس منه

(٢٠) الاستنقاء : من نقى الشيء نقاوةً ونقاءً : نَطَفَ فهو نَقِيٌّ والنَقِيُّ : الخالص .
الوسيط (٩٥٠/٢) .

(٢١) (الاستنجا) : هكذا بالأصل ولعلها [الاستجمار] والله تعالى أعلم .

(٢٢) البدان : من بَدَنَ وبَدَنَ الرجلُ يَبْدُنُ بَدْنًا وبَدَانَةٌ فهو بادن إذا ضخم ورجلٌ بادن وامرأةٌ مُبَدَّنَةٌ وهما المينان . لسان العرب (٢٣٢/١) ط دار المعارف .

(٢٣) عَمْدُهُ : عَمَدُ الخيمة : نصبها بالعماد - والقومُ فلاناً : جعلوه عَمِيداً عليهم ، أو عَمْدَةً لهم . الوسيط (٢٦٢/٢) .

والمعنى المقصود هنا هو أكثر من الاعتماد عليك .

وأظهر الجميل فليس شيء أعجب إليه من التمكن منك فانظر أن لا يكن شيء أعجب إليك من التحض^(٢٤) منه .

وقال في العقل والأدب :

اعلم أن العقل أمير ، وأن الأدب وزير ، فإن لم يكن وزير ضعف الأمير وإن لم يكن أمير بطل الوزير .

وإنما مثل العقل والأدب ، كمثل الصيقل^(٢٥) والسيف فإن الصيقل إذا أعطى السيف أخذه فصقله فعاد جمالاً ومالاً وعضداً ليعتمد عليه ، ويلتجأ إليه .

فالصيقل الأدب والسيف العقل .

فإذا وجد الأدب عقلاً نفعه ووقفه وقواه وسدده كما يصنع الصيقل بالسيف وإذا لم تجد عقلاً لم تعمل شيئاً لأنه لا يصلح إلا ما وجد وإن من السيوف ما يصقل ويسقا ويحد ثم يباع بأدنى الثمن ومنها ما يباع بزينة دراً وزبرجداً وذلك على نحو الحديد وجودته أو ردايته وكذلك الرجلان يتأدبان بأدب واحد ثم يكون أحدهما أنفد من الآخر أضعافاً مضاعفة وإنما ذلك على قدر العقل وقوته في الأصل .

وفي ذلك أقول شعراً :

وقد يصلح التأدب^(٢٦) من كان عاقلاً وإن لم يكن عقل فلن ينفع الأدب

(٢٤) (التحض) : هكذا بالأصل ولعل الصواب التخفى .

(٢٥) الصيقل : شحاذ السيوف وجلأؤها والجمع صياقل وصياقلة [لسان العرب (٢٤٧٣/٣) ط دار المعارف .

(٢٦) (التأدب) : هكذا بالأصل ولعل الصواب [التأديب] حتى يستقيم الوزن والله أعلم .

وقال في المرء :

إذا اجتمع أهل لوع فتذاكروا على لوعهم ذلك فلم يكن أحتمل
كل واحد منهم أن ينفع ما استمع وينتفع بما سمع .

واعلم أن تذاكرهم ذلك من أول المرأ^(٢٧) يصدع العلم ويهرن
الود ويورث الجمود وينشئ الشحناء ويعل القلب .

وفي ذلك أقول شعراً :

تجنب صديق السوء واحترم حاله فإن لم تجد عنه مَحِيصاً فَدَارِهِ
وأحبب صديق الخير واحذر مرأه نل منه صفو الود مالم تُجاره

وقال في الحكمة :

أما ما سمع من كثير الحكماء فإن أول شيء يخطر على الأفئدة إذا
خطر وهو أصغر من الخردلة ، وأرق من الشعرة ، وأوهن من البعوضة ثم
تحركه الألسنة وتنبذه الأفئدة كما يحاك البرد ، وكما يمد النهر فتعود أكثر من
الكثير ، وأوثق من الحديد ، وأتمن من الجوهرة ، وأحسن من الذهب
وأفنع من كلهما^(٢٨) لأنه يزيد في المنطق ويدكى الذهن ويعين على
الإبلاغ ويتحمل به العامل ويتقلب فيه كيف شاء ويختار منه ما يشاء
فينتفع به اللطيف وينبل به الشيخيف ويتزيد به الكثيف ويتأيد به الضعيف
ويزداد به الأدب قوة في منطقه وبلاغة في كتبه فيكون في حفظه منفعة

(٢٧) المرأ : من المرء وما راه مرأء ومُما راة : ناظره وجادله . الوسيط (٢/٨٦٦) .

(٢٨) (كلهما) : هكذا بالأصل ولعل الصواب (كلهم) .

للخطباء في خطبهم وللبلغاء في بلاغتهم وكتبهم وللكرماء في بشاشتهم وللشعراء في قصائدهم فإذا كنت ممن يؤلف حكمة أو يضع رسالة أو يذكر في مهمة فلا ... (٢٩) قلبك ولا تكره ذهنك فإن (٣٠) إذا أكره حل ووقف ولكن إن كنت في شيء من ذلك فاستعن التفرغ (٣١) منه على التفرغ عليه ، والتأخر عنه على التقدم فيه فإن الذهن يحم كما يحم (٣٢) البئر ويصفو كما يصفو الماء .

وقال في الكلام وإخراجه :

اعلم مثل الكلام كمثل الحجارة فمنها ما هو هوامز (٣٣) من الذهب والفضة ومنها ما لا يعطا في الصخرة العظيمة مائة درهماً .

وفي ذلك أقول شعراً :

وما الحجر الكبير أعز فيما ظفرت به من الحجر الصغير
وكم أبصرت من حجر خفيف صغير بيع بالثمن الكثير

(٢٩) يياض بالأصل : ولعله (تتعب) .

(٣٠) (فإن) : هكذا بالأصل والصواب [فإنه] .

(٣١) (التفرغ) : هكذا بالأصل ولعل الصواب [بالتفرغ] .

(٣٢) يحم : حَمُّ الماء ونحوه : سَخْنُه . الوسيط (١/١٩٩) .

(٣٣) (هوامز) : هكذا بالأصل ولعل الصواب [أميز] .

وقال في طلاقة الوجه وحسن الخلق :

كن أسهل ما يكون وجهاً ، وأظهر ما يكون بشراً وأقصر ما
يكون يداً وأحسن ما يكون خلقاً ، وألين ما يكون كنفاً وأوسع ما
يكون أخلاقاً فإن الأيام والأشياء عُقب^(٣٥) ودول فإن أنكرت منها شيئاً
يوماً ما كان أنكرت منها شيئاً خفيفاً على أهل السماتة وعلى أهل
الصفاء^(٣٦).....

واحذر أن تُحزن من يُحبك وتفرح من يحسدك فلم أر في مصائب
الدهر أوحش من تغير النعمة وإذ أنت لم تنكر منها شيئاً ودامت لك كما
تريد فما من الدنيا شيء مثل بدعة ورفق إلا وهو أهنى مما مثل تعب
ونصب فأما من كفى وعوفى .

(٣٤) كنفاً : من كنف الكيال كنفاً : جعل يديه على رأس المكيال يمسك بهما الكيل
وكنف عن الشيء : عدل وكنف القوم : حبسوا أموالهم من شدة وتضييق عليهم . الوسيط
(٨٠١/٢) .

والمقصود كن ألين ما تكون في التضييق عليهم .

(٣٥) عُقب : العقب : آخر كل شيء وخاتمه . الوسيط (٦١٣/٢) .

(٣٦) الصفاء : صفاء - صفواً وشفاءً : خلص من الكدر ويقال صفا الماء : راق
والجو نخال من الغيم والكدر . الوسيط (٥١٧/١) .
والمقصود أهل الصفاء .

وفي ذلك أقول شعراً :

ما تم شيء من الدنيا علمت به إلا استحق عليه النقص والغير
ولا تغير من قوم نعيمهم إلا تكدر منه الوره^(٣٧) والصدر
فعاد غمماً ولن تلقى أمراً أبداً أقبح من تلك أيام يفتقر

[ذم الكذب]

وقال في الكذب :

كذبت ومن يكذب فإن حراه^(٣٨) إذا مأتى بالصدق أن لا يصدقا

وقال فيه أيضاً :

إذا رأيت المرء حلوا لسانه كذوباً فأيقن أن لا حياء له
ولا خير في الإنسان إن لم يكن له حياء ولا في كل من لا وفاء له

وقال في الإخوان :

ليس من كان الرخاء صديقاً وعدو الصديق بعد الرخاء
عدة في إخوانه لصديق إنما ذاك عدة الأعداء
لو وجدنا أحاً متيناً أميناً لا نخذناه أخاء^(٣٩) للشقاء

(٣٧) الوره : شحم الصدر [الوسيط (١٠٢٨/٢)] .

(٣٨) حراه : حرايه - حراً : أى كان جديراً به [الوسيط (١٦٩/١)] .

(٣٩) كذا بالأصل والصواب (أحاً) .

[كيفية اختيار الصديق الصدوق]

أما الرفقاء في السفر والجلساء في الحضر والخلطاء في النقم والشركاء في العدم فاحفظ مصابحتهم وواظب على إخائهم ، وفي ذلك أقول شعراً :

وكنت إذا صحبت رجال قوم صحبتهم وشيمتى الوفاء
فأحسن حين يحسن محسنوهم وأجتنب الإساءة إن أساءوا
وأبصر ما بعينهم بعين عليها من عيونهم غطاء
ارتد^(٤٠) رضاهم أبداً وآتى مشيقتهم وأترك ما أشاء

لا تبدأن^(٤١) أحداً بصغيرة مما يكره ولا بكبيرة ولا بقليل مما يسخط
ولا بكثير فإن ابتدأك أحد بشيء من ذلك فقدرت على الانتصار منه
فعفوت أو انتصرت فما أحسن جميع ذلك إلا أن العفو أكرم والانتصار
أعز وكلاهما حظ .

وفي ذلك أقول شعراً :

فما ذات باب تحمده فيما علمت عليه مطرق الصواب
وأى الناس ألام من سفيه يقول ولا يخاف^(٤٢) من الجواب

وقال في الجهل :

إياك والجهل فإنما تجهل على ثلاثة رجل أنت أعز منه ، ورجل هو
أعز منك ، ورجل أنت وهو في العز سواء .

(٤٠) (ارتد) : هكذا بالأصل والصواب . [أريد] .

(*) بالأصل (تبد) والصواب ما أثبتناه .

(**) بالأصل (يخافين) والصواب ما أثبتناه .

فأما جهلك على من أنت أعز منه فلوم ، وأما جهلك على من هو
أعز منك فحيف ، وأما جهلك على من هو مثلك فهراش^(٤١) مثل هراش
الكلبين ولن يفترقا إلا مفضوحين أو مجروحين وليس هذا من مقال
الحكماء والعلماء والحليم أرزن والجهول أنقص .

وفي ذلك أقول شعراً :

ما تم علم ولا حلم بلا أدب ولا تجاهل في يوم حلیمان
ولا التجاهل إلا ثوب ذى دنس وليس يلبسه إلا سفیهان

وقال في رؤية الرجل وخبره

إن من الناس من يعجبك حين تراه وتزداد عند الخيرة إعجاباً ،
ومنهم من تبغضه حين تراه وعند الخيرة أكثر بغضاً ، ومنهم من يعجبك
خبره ولا يعجبك منظره ، ومنهم من يعجبك منظره ولا يعجبك خبره ،

وفي ذلك أقول شعراً :

ترى من الرجال الغبن^(٤٢) فضلاً وفيما أضمر الغبن الغبين
ولون الماء مشتبه وليست تخبر عن مذاقته العيون
فلا تعجل بظن قبل خبر فعند الخبر تنصرم الظنون

(٤١) فهراش : تمرش الدهر هرشاً : اشتد وفلان ساء خلقه وهراش الكلب الكلب .
ونحوه قاتله . الوسيط (٩٨١/٢) .
والمقصود سوء خلقه .
(٤٢) الغبن : النقص والضعف . الوسيط (٦٤٤/٢) .

وقال أيضاً :

وناصي^(٤٣) الرجال بها امتحان وما فيها لمعتبر بيان
ولكن فعلهم ينبئك عنهم به تجب الكرامة والهوان
وما الإنسان إلا أصغراه^(٤٤) سوى صور تصور للبيان

وقال أيضاً :

لم أزل أبغض كل امرئ وجهه أحسن من خبره
فهو كالغصن يرى ناضراً ناعماً يعجب من زهره
ثم يبدو بعده ثمره فيكون السم في ثمره

وقال في النهي عن القبيح :

إذا رأيت من أحد أمراً فنهيت عنه فلم يحمدك ولم يذم نفسه على
مكانه أو يُحدث حدثاً. نعلم أنه قد انتفع بمقالتك ، فإن ذلك عيب آخر
قد بدا لك منه ، لعله أقبح من الذي نهيت عنه .

وفي ذلك أقول شعراً :

ولا نهيت غويًا^(٤٥) من غوايته إلا استزاد كأني كنت أغويه
ولا نصحت له إلا تبين لي منه الجفاء كأني كنت أغويه

(٤٣) ناصي : ناصُ غريمه : استقصى عليه وناقشه وناصي فلاناً مناصاة ونصاء : قبض
كل منهما بناصية الآخر ويقال فلان يناصر فلاناً : ينازعه ويباريه . الوسيط
(٩٢٦/٢-٩٢٧)

والمقصود هنا والله أعلم : نازع وبارى الرجال بها .

(٤٤) (اصغراه) : هكذا بالأصل .

(٤٥) غويًا : غوى - غيًا وغواية : أمعن في الضلال . فهو غاوٍ وغويٌّ وغيان .
الوسيط (٦٦٧/٢) .

وقال في المواخاة :

لا تواخ أحداً إلا على اختبار منك^(٤٦) له ، وارتضاء منك به
واتفاق منه لك فإذا اتفق أمركما كذلك .

فأعلم أن كلا كما يُحسن ويُسيء ويصيب ويخطئ ويحفظ ويضيع
فوطن نفسك على الشكر إذا حفظ وعلى الصبر إذا أضاع وعلى المكافأة
إذا أحسن وعلى الاحتمال والمعاتبة إذا أساء ، فإن معاتبة الصديق إذا أساء
أحب إلى الخليم من القطيعة في معاشرة من تواخيه .

وفي ذلك أقول شعراً :

وإذا عتبت على امرئ أحببته فتوق صابر عتبه^(٤٧) وشبابه
وألن جناحك ما استلان لوده وأجب أخاك إذا دعا لجوابه
واحرص أن يُعرفك موقعك من كل أحد حتى من أبيك وأمك
فإن من السخافة أن يكون لأخيك فيما يحب ويكون لك فيما يكره ،
وما أقبح أن يكون له فيما يكره ويكون لك فيما يحب .

واعلم أن من تنفك صداقته ولا تضرك عداوته [هو] الكريم الذي إن
أحسنن إليه كافأك ، وإن أسأت إليه عاتبك ، وأما من يضرك عداوته
ولا تنفك صحبته فهو الجاهل السفيف اللئيم .

وفي ذلك أقول شعراً :

من الناس من إن يرض لا ينتفع به ولكن متى سخط فما شين من فرر
ضعيف على الأعداء لكن قلبه أشد إذا لاقى الصديق من الحجر

(٤٦) بالأصل (منه) ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٤٧) عتبه : من عتب وعتب عليه عتياً وعتاباً : لامة وخاطبه مخاطبة الإذلال طالباً

حسن مراجعته ومذكراً إياه بما كرهه منه . الوسيط (٥٨١/٢) .

وقال في مقلب الشعر :

إنما الدينيـا سراج ضوؤه ضوء مغـار
بينما غصنك غصن ناعم فيه اخضرار
إذ رماه الدهر يو ما فيه اصفرار (٤٨)
وكذاك الليل يأتي ثم يحسوه النهار

وقال في المداراة (٤٩) :

إذا هبطت بلداً أهلها على غير ما تعرف وأنت على غير ما يعرفون
فالزم كثيراً من المداراة فما أكثر من داري ولم يسلم فكيف من لم يكن منه
مداراة .

وفي ذلك أقول شعراً :

ياذا الذي أصبح لا والدأ له على الأرض ولا والدأ
قد مات من قبلهما آدم فأى نفس بعده خالدة
إن جعت أرضاً أهلها كلهم عور فغمض عينك الواحدة

وقال : لا تقاتلن أحداً تجد من قتاله البئ (٥٠) فإنما الحمقان (٥١) لمن
غلب ولا غالب إلا الله وإن آخر الدواء الكى فلا تجعله أولاً .

(٤٨) اصفرار : من اصتقر : صار أصفر اللون - والزُرْعُ : بيس ورقه وآن حصاده .
الوسيط (٥١٦/١) .

(٤٩) المداراة : من داراه : لاطفه ولاينه ورفق به واتقاه . الوسيط (٢٨٢/١) .
والمقصود الملاينة والملاطفة .

(٥٠) البئ : التعب . الوسيط (٤٣/١) .

(٥١) (الحمقان) : هكذا بالأصل ولعل الصواب [الحمق] .

وفي ذلك أقول شعراً :

وكم رأينا من أخى غبطة أصبح مسروراً وأمسى حزيناً
وكم فتى يركب طاحونة^(٥٢) . للحرب قد أصبح فيها طحيناً

وقال في الإعسار والإيسار^(٥٣) :

كم من صديق لنا أيام دولتنا وكان يمدحنا قد صار يهجوننا
إني لأعجب ممن كان يصحبنا ما كان أكثرهم إلا يراؤنا
لم يدر حتى انقضت عنا إمارتنا من كان ينصحنا أو كان يغيونا^(٥٤)
من كان ينصفنا ما كان يصحبنا إلا ليخدعنا عما بأيدينا

وقال في الصلة والتفضل :

لا يكن من وصلك أحق بصلتك منك بصلته ، ولا من يفضل
عليك أولى^(٥٥) بالتفضل منك عليه .

فإنما أنت وهو كرجلين ابتدرا أكرومة^(٥٦) فقصر أحدهما وبلغ
الآخر ، فأما القاصر قصر عن حط نفسه وأما البالغ فبلغ بجميل أمره
وعظيم قدره .

(٥٢) طاحونة : الطاحونة : الطاحون : آلة الطحن والجمع طواحين . الوسيط

(٥٥٢/٢) .

(٥٣) وردت بالأصل [الإصدار] ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٥٤) يغيونا : من غوى - غياً وغواية : أمعن في الضلال واستغواه بالأمانى الكاذبة :

طلب غيّه وأضله . الوسيط (٢٦٧/٢) .

والمقصود والله أعلم بضلنا .

(٥٥) (أولاً) : هكذا بالأصل والصواب ما أثبتناه .

(٥٦) أكرومة : الأكرومة : الفعلة الكريمة : الوسيط (٧٨٤/٢) .

[أحوال القدر]

وقال في القدر : إذا كان الرجل لبيباً :
فاعلم أنه كامل ولكن لن يقدمه ذلك إلى ما كان يطالب ، ولن
يؤخره عما كان يحاذر إلا بقدر يلحق به ما طلب ويسبق به ما يحذر ،
وإن من الناس من يؤتى منطقاً وعقلاً ولن يؤتى مالاً ، ومنهم من يؤتى مالاً
ولا يؤتى غيره فيحتاج ماله إلى عقل ذى العقل ومنطقه ، ويحتاج ذو
العقل إلى مال ذوى المال ور ...^(٥٧) وينهض هذا بهذا وهذا بهذا فليس
لأنهما إذا فأحوج الملك إلى السوق^(٥٨) وأحوجت السوق إلى الملك :

وقال في الفضائل :

لا تقل فلان أغنى منى وأنا أحرم^(٥٩) منه فإنه لو جُمع العقلُ
والشدة ، والشجاعةُ والمال وأشباه ذلك لقوم ، وبقي قوم لا شيء لهم
لهلكوا .

ولكن الله عز وجل قال : فأوتى بعضهم عقلاً ، وبعضهم قوة ،
وبعضهم مالاً مع أشياء مما يكون فيه صلاحهم وبه معاشهم ، ثم أحوج
بعضهم إلى بعض فلا عاشوا^(٦٠) وإنما مثل الرجل ورزقه ، ومثل عقله
وأدبه مروءته كمثل الرامى ورميته فلا بد للرامى من سهم ، ولا بد لسهمه

(٥٧) بياض بالأصل .

(٥٨) السوق : الرعية وأوساط الناس وتطلق على الواحد وغيره فيقال هو سوق وهم
سوقة (ج) سوقى . الوسيط (٤٦٥/١) .

(٥٩) أحرم منه : أشد حرماناً منه .

(٦٠) (فلا عاشوا) : هكذا بالأصل ولعل الصواب [فعاشوا] .

من قوس ، ولا بد لقوسه من وتر ولا بد لجميع ذلك من قدر يبلغ ما رشق^(٦١) ونصيب^(٦٢) به ما يبلغ ويجوز به ما أصاب وإلا فلا شيء .

فالرامي الرجل والرمية الرزق ولا يجتمع بينهما عقل ولا عز ولا شيء من ذلك إلا بقدره .

وفي ذلك أقول شعراً :

ما القوس إلا عصا في كف صاحبها يرعى بها الضأن أو يرعى بها البقرا
أو عود بان^(٦٣) وإن كانت منفعة^(٦٤) حتى يضم إليها السهم والوتر
وإن جمعت لها هذى فهي عصي حتى يساعد من يرمى بها القدرا

[أخلاق الأتقياء والأشقياء]

وقال : إن حسن السميت وطول الصمت ومشى القصيد من أخلاق الأتقياء ، وإن سوء السميت وترك الصمت ومشى الخيلاء من أخلاق الأشقياء .

فإذا أمسيت فوق الأرض فاذكر من تحتها وكيف كانوا فوقها
وكيف حلوا بطنها وكيف كانوا ممساً .

(٦١) رشق : رما ورشقه - رشقاً : رماه . الوسيط (٣٤٧/١) .

(٦٢) نصيب : نصباً : أعيأ وتعب وجدد واجتهد . الوسيط (٩٢٤/٢) .
والمقصود والله أعلم ما اجتهد وتعب في رمية .

(٦٣) بان : البان : ضرب من الشجر سبط القوام ، لين ورقه كورق الصفصاف .
الوسيط (٧٧/١) .

(٦٤) (منفعة) : هكلنا بالأصل ولعل الصواب [منافعه] .

[طبيعة بنى آدم]

واعلم أن ابن آدم أعزُّ من الأسد ، وأشد من العمد ما لم يصبه
أدنى شوكة ، وأدنى مرض ، وأدنى مصيبة .

فإذا أصابه شيء من ذلك وجدته أهون من الذرة ، وأمهن من
البعوضة ، فلا تغررك تجبره وتكبره وتفرغنه واستطالته .
وفي ذلك أقول شعراً :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً فكم تحتها قوم هم منك أرفع
فإن كنت في عزٍّ وحرزٍ ومنعة فكم طاح من قوم هم منك أمتع

وقال في الغناء والقنوع : إن الغناء في القلب فمن غنيت نفسه
وقلبه غنيت يدها ، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناء .

وفي ذلك أقول شعراً :

إذا كان المرء لم ينفع بشيء فإنه وإن كان ذا مال من الفقر موقر
إذا كان فضل الله يغنيك عنهم فأنت بفضل الله أغنى وأيسر

[خير الاستشارة]

وقال في الرأى والمشاورة : إذا استشير نفر أنت أحدهم فكن
آخر من يشير فإنه أسلم لك من الصدق ، وأبعد لك من الخطأ ، وأمكن
لك من الفكر وأقرب لك من الجزم .

ومن الرجال إذا أحلامهم [ندبوا]^(٦٥)

من يستشار إذا استشير فيطرق

(٦٥) ما بين المعكوفين : سقط أثبتناه حتى يستقيم الوزن والمعنى .

حتى يجول بكل وادٍ قلبه فيرى ويعرف ما يقول وينطق
فبذاك يطلق كل أمرٍ موثق وبذاك يوثق كل أمر مطلق
إن الحليم إذا تفكر لم يكذب يخفى عليه من الأمور الأوفى

[مجالسة أهل الأهواء وجداهم]

وقال في عز مجالسة أهل الأهواء والبدع ومحدثهم أما أهل الأهواء
فإني لم [أر]^(٦٦) أحداً ازداد فيها إلا ازداد فيها عمى لأن أمر الله أعز من
أن يلحقه العقول ، ولم أر اثنين تكلموا فيها إلا رأيت لكل واحد منهما
حجة لا يقدر صاحبه على دفعها إلا بالشبهة والمغالطة وأما النصيحة فلا .
ومن غالط في هذا أو مثله فإمّا يغالط وعليه يخلط وإياها يخدع أو
أزاد أن يخادع ربه والله أعز من أن يُخدع لقد نبئت أن الله تبارك وتعالى
أوحى إلى نبيه موسى عليه الصلاة والسلام ألا تجادل أهل الأهواء فيوقعوا
في قلبك شيئاً يوردك إلى النار فهذا أمر نهي عنه موسى عليه الصلاة
والسلام. وقد أعطى التوراة فيها هدى الله وقد كلم الله موسى تكليماً
فكيف بغيره من أهل الأهواء ولم يزل الصالحون يتناهون عن الهواء والمرأ
فيه والجدل به ولم [أر]^(٦٧) قياساً قط تم ولا كلاماً صح إلا وفيه كلام
بعد كثير .

والسنة أن لا يتكلم في شيء من الأهواء بالهوى وبغير الإمتاع^(٦٨)
للكتب المنزلة والسنن للرسول الصادقة .

(٦٦) ما بين المعكوفين سقط أثبتناه .

(٦٧) ما بين المعكوفين سقط أثبتناه .

(٦٨) (الامتاع) : هكنا بالأصل ولعل الصواب [الاتباع] .

وفي ذلك أقول شعراً :
إذا أعطى الإنسان شيئاً من الجدل فلم يعطه إلا لكي يمنع العمل
وما هذه الأهواء إلا مصائب يخص بها أهل التعمى والعلل

[التهمة وأثرها]

وقال في التهمة : إياك والتهمة ، فإنها لا تترك مودة إلا أفسدتها ،
ولا عداوة إلا جددتها ، ولا جماعة إلا بددتها ، ولا نارا إلا وقدها ثم لا بد
من عرف بها أو نسبت إليه^(٦٩) أن يتحفظ من مجالسته ، ولا يؤتى بناحيته
وأن يزهد في مناقشته ، وأن يرغب عن مواصلته .

وفي ذلك أقول شعراً :
تمشيت فينا بالميم وإلما يفرق^(٧٠) بين الأصفياء الثمائم
فلا زلت منسوبا إلى كل آفة ولا زال منسوبا إليك اللوائم
وفي مثله أقول :

كالسيل في الليل لا يدرى به أحد من أين جاء ولا من أين يأتيه
قالويل للعبد منه كيف يقصيه^(٧١) والويل للود منه كيف يتليه

(٦٩) (إليها) : هكذا بالأصل والصواب ما أثبتناه .

(٧٠) (تعرف) : هكذا بالأصل والصواب ما أثبتناه .

(٧١) (يقصيه) : هكذا بالأصل والصواب [يقصيه] وهو ما أثبتناه .

ويقصيه : من أقصى الشيء : أبعده وبلغ أقصاه يقال لا تقصيه الإبل : لا تبلغ أقصاه .

الوسيط (٧٤١/٢) .

[من نواقض المروءة كثرة الكلام]

وقال : إذا قيل لك أى شيء أطول ؟

فقل : الكلام

وإذا قيل لك أى شيء أقصر ؟ فقل : الكلام .

لأن الكلمة الواحدة قد تكون جواباً لألف كلمة ، وقد يكون جوابها ألف كلمة وأكثر ، ولن تدرك الكلام حتى تدره ولن تدره حتى تحذره وفي القول خطأ كثير وبعضه صواب وإن الصمت منه لأصوب .
فاترك منه مالا ينفع بأخذه ، وخذ منه مالا تقدر على تركه ،
واسجن لسانك كما يسجن عدوه واحذره كما يحذر عائلته .

[فى النفس وآدابها]

وقال فى تأديب النفس : إذا أبصرت بعض ما تكره من غيرك فاسرع الرجعة قبل أن يبصره منك من يستره وأحمد الله تعالى الذى أحسن إليك وبصرك عيوب نفسك ونبئك للرجوع من غيرك وإذا أخبرك بعيبك صديق قبل أن يخبرك به عدو فأحسن شكره واعرف حقه فإن خير العدو عيب وخير الصديق تأديب .

وفى ذلك أقول شعراً :

ولن يهلك الإنسان إلا إذا أتى من الأمر ما لم يرضه نصحاؤه

وقال فى الحاسد :

اعلم أنك لن تلقى من الخير درجة ولن تبلغ منه مرتبة ولن تنزل منه منزلاً إلا وجدت فيه من يحسدك ، وإنما الحاسد خصم فلا تجعله

حكماً فإنه إن حكم لم يحكم إلا عليك ، وإن قصد لم يقصد إلا إليك ،
وإن دفع لم يدفع إلا حقك .
وفي ذلك أقول شعراً :

ولو كنت مثل القدح قائلاً ألا ما لهذا القدح ليس بقائم
ولو كنت مثل النصل قابلاً^(٧٢) ألا ما لهذا النصل ليس بصارم

تم كتاب أدب صالح بن جناح بفضل منشيء الأرواح ومجرى الرياح
الملك الوهاب الفتاح في سلخ^(٧٣) ذي الحجّة على يد العبد الفقير أضعف
الأنام راجياً من ربه حسن الختام بجاه سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل
الصلاة وأتم السلام كلما ناح الحمام وعلى آله وصحبه وأهل بيته وذريته
وأمتهم أجمعين .

والحمد لله رب العالمين
آمين

(٧٢) (قابلاً) : هكذا بالأصل ولعل الصواب [قائلاً] .

(٧٣) سلخ : سلخ الشهر : مضي . الوسيط (٤٤٢/١) .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٤	بين يدي الكتاب
٨	ترجمة المصنف
٩	عملي في الكتاب وصور المخطوطة
١٢	تعريف المروءة
١٣	في ذي الوجهين
١٣	في الصدود
١٤	في كثرة المال وقلته
١٤	قوله في الحمق
١٥	بيان أثر الهوى على الإنسان وفضل العقل
١٦	في الوجوه الشفافة
١٦	الإعداد لكل أمر بعدته
١٧	في العتاب
١٨	حقوق الأخوة
١٩	في مضيف الطعام
٢٠	في صفة العدو والصديق
٢١	في العقل والأدب
٢٢	في المرء
٢٢	في الحكمة
٢٣	في الكلام وإخراجه

الصفحة	الموضوع
٢٤	في طلاقة الوجه وحسن الخلق
٢٥	ذم الكذب
٢٥	في الإخوان
٢٦	كيفية اختيار الصديق الصدوق
٢٦	في الجهل
٢٧	في رؤية الرجل وخبره
٢٨	في النهي عن القبيح
٢٩	في المؤاخاة
٣٠	في المداراة
٣١	في الإعسار والإيسار
٣١	في الصلة والفضل
٣٢	أحوال القدر
٣٢	في الفضائل
٣٣	أخلاق الأتقياء والأشقياء
٣٤	طبيعة بنى آدم
٣٤	في الغناء والقنوع
٣٤	خير الاستشارة
٣٥	مجالسة أهل الأهواء وجداهم
٣٦	التيمة وأثرها
٣٧	كثرة الكلام
٣٧	في النفس وأدائها
٣٧	في الحاسد

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد حنبله المواجه لكلية الآداب

ت : ٢٤٧٧١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس . ٢٤٠٠٤ DWFA UN

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/١٥٨٧

I.S.B.N. 977-5211-22-0 الترميم الدولي